

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية / كلية التربية

قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

الايثار والاثرة بين القرآن الكريم ونهج البلاغة

بحث الطالبة سارة محمد كاظم ساكن مقدم من اجل نيل شهادة البكالوريوس

اشراف

أ.م.د. دريد الشاروط

م ٢٠١٧

هـ ١٤٣٨

المحتويات

- الموضوع
- الآية
- الشكر والتقدير
- الاهداء
- المقدمة
- المبحث الاول / الايثار والاثرة في اللغة والاصطلاح
 - اولاً : الايثار والاثرة في اللغة
 - ثانياً : الايثار والاثرة في الاصطلاح
- المبحث الثاني / الموارد القرآنية للمفهوم
 - اولاً : الآيات
 - ثانياً : السياق القرآني
- المبحث الثالث / موارد المفهوم في المنهج
 - اولاً : النصوص
 - ثانياً : السياق النصي
- المبحث الرابع / المفهوم بين القرآن الكريم ونهج البلاغة
 - الاقتباس القرآني في نهج البلاغة
- الخاتمة
- قائمة المصادر والمراجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا

فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا }

(طه ٧٢) صدق الله العلي العظيم

الشكر والتقدير

يطيب لنا ان نتقدم بالشكر والتقدير الى استاذنا ومشرفنا (دكتور دريد)
وكل من ساعدنا في انجاز هذا البحث وما قدمه لنا من جهود مخصصة
واداء متميز مما كان له الاثر الطيب والفعال في نفوسنا وفقكم الله لما فيه
الخير مع اطيب التمنيات ...

الاهداء

الى

من ارضعتني الحب والحنان

الى رمز الحب وبلسم الشفاء

الى القلب الناصع بالبياض

(والدتي الحبيبة)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الاحد ، الذي عمت بحكمته الوجود ، والذي شملت رحمته كل الوجود ،
نحمده الله سبحانه وتعالى ، ونشكره بكل لسان محمود ، ونشهد انه لا اله الا هو وحده لا شريك
له الحمد له وله الملك وهو الغفور الودود ، وعد سبحانه وتعالى من اطاعه بالعزة ، كما توعده
من عصاه بالنار ونشهد ان نبينا محمداً بن عبد الله هو عبده ورسوله صاحب المقام المحمود
والحوض المورود ، وصل الله عليه واله وسلم تسليماً كثيراً .

اما بعد :

نتقدم الى سيادتكم هذا البحث المختص بمادة علمية في موضوع الايثار والاثرة بين القرآن
الكريم ونهج البلاغة ، نرجوا من الله ان ينال البحث اعجابكم وان نكون عند حسن ظنكم ، فان
بحثي كان قد تناولته القدماء والمعاصرين ، ومن اهم القدماء الذين تناولوه (الخليل بن احمد
الفراهيدي) في كتابه (العين) ، و (ابن منظور) في كتابه (لسان العرب) ولم يترك المعاصرين
هذا الموضوع ايضاً منهم (الراغب الاصفهاني) في كتابه (المفردات في غريب القرآن) و (محمد
قلعجي) في كتابه (معجم لغة الفقهاء) هذا في ما يختص باللغة والاصطلاح في الايثار
والاثرة .

من الناحية اللغوية ، حيث يهدف هذا البحث الى دراسة الايثار والاثرة بين القرآن ونهج البلاغة واهم الاراء التي ذكرت فيها ، وقد قسم البحث الى اربعة فصول رئيسية ، الفصل الاول يتناول معنى الايثار والاثرة في اللغة والاصطلاح ، اما الفصل الثاني فقد ضم الآيات اولاً ثم تفسيرها في ضوء السياق القرآني ثانياً ، اما الفصل الثالث تحدث عن نهج البلاغة واهم الخطب التي تتحدث عن الايثار والاثرة في نهج البلاغة اولاً ، ثم معرفة معنى السياق النصي عند ابرز الشراح للخطب في نهج البلاغة ، اما الفصل الرابع تحدث عن الاقتباس بين القرآن الكريم ونهج البلاغة ومعرفة التشابه والاختلاف بين الخطبة والآية القرآنية .

واما الصعوبات التي واجهتني خلال البحث ، فقد كان في البداية مرحلة تجميع الكتب التي تتحدث عن اللغة والاصطلاح حيث واجهت صعوبات جمة ولم يكن عملاً سهلاً وواجهت صعوبة في معرفة ابرز التفاسير واهمها التي فسرت الآيات المتعلقة بالايثار والاثرة ، والتعرف على ابرز الشروح لخطب نهج البلاغة للامام علي (عليه السلام) وفي الختام اريد ان اوجد شكري وامتناني الخالص لاستاذي الفاضل الدكتور (دريد الشاروط) لما قدمه لي من ارشادات ومساعدة خلال عملي .

الفصل الاول

الايثار والاثرة في اللغة والاصطلاح

أولاً : اللغة :-

قال الخليل بن احم الفراهيدي ، ت (١٧٠) هـ ، صاحب كتاب العين ان الايثار لغة : أثر : ((الأثر: بقية ما ترى من كل شيء وما لا يرى بعد ما يبقى عُقَّةً. والإيثر: خلاصُ السمنِ ، وأثرُ السيفِ: ضربتُهُ ، وذهبتُ في إيثرِ فلانٍ، أي: استَفَقَيْتُهُ، لا يُشْتَقُّ منه فعلٌ

وأثرُ الحديثِ: أنْ يَأْتِرَهُ قَوْمٌ عن قَوْمٍ، أي: يُحَدِّثُ به في آثَرِهِم، أي: بَعَدَهُم، والمصدر: الأثارةُ. والمأثرةُ: المكْرمةُ، وإنما أُخِذَتْ من هذا، لأنها يَأْتِرُهَا قَرْنٌ عن قرنٍ، يَتَحَدَّثُونَ بها. ومآثرُ كلِّ قومٍ: مساعي آبائهم. والأثيرُ الكريمُ، تُؤْتِرُهُ بفضلِكَ على غيره، والمصدر: الإيثر. تقول: له عندنا إيثرٌ. واستأثر اللهُ بفلانٍ، إذا مات، وهو ممَّن يُرَجَى له الجنةُ. واستأثرت على فلانٍ بكذا وكذا، أي: آثرتُ به نفسي عليه دونه. وأثرُ السيفِ: وشيهُ الذي يُقال له: الفرند، وقولهم: سيفٌ مأثورٌ من ذلك، ويقال: هو أثيرُ السيفِ مثل ذميل فَعِيل، وأثرُ السيفِ فَعَل مخفف، قال:

والمئثرةُ، مهموز: سَكِينٌ يُؤْتِرُ بها باطن خُفِّ البعيرِ فحيثُما ذهبَ عُرِفَ به أثرُهُ.

والمبيثرة، خفيفة: شبه مِرْفَقة تُتَّخَذُ للسَّرَجِ كالصَّفَّةِ، تُلقَى على السَّرَجِ، ويلقى عليها السَّرَجُ.

وقد أثرت أن أفعل كذا وكذا، وهو همّ في عزم.. وتقول: افعلْ يا فلانُ هذا آثراً ما، أي إن أحرّرت ذلك الفعل فافعل هذا إمّا لا. والآثر: بوزن فاعل. وتفسير إمّالا: أن لا وما صلة فجعلت كلمة واحدة فأمّيلت ، والآثر والواثر: لغتان هو الذي يُؤثر تحت خفّ البعير المعروف الرقيق بذلك))^(١).

ذكر الامام العلامة جمال الدين بن ابي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري الافريقي المصري ت (٧١١) هـ في كتاب لسان العرب :

((أثر: الأثر: بقية الشيء، والجمع آثار وأثور. وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده. وأثرتُه وتأثرتُه: تتبعت أثره. والآثر، بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء. والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء. وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً. والآثار: الأعلام. والآثيرة من الدواب: العظيمة الأثر في الأرض بخفيها وحافرها بيّنة الإثارة. وحكى اللحياني عن الكسائي: ما يدرى له أين أثر وما يدرى له ما أثر أي ما يدرى أين أصله ولا ما أصله. والإثار: شبه الشمال يُشدّ على ضرع العنز شبه كيس لئلا تُعان. والأثرة، بالضم: أن يسحى باطن خف البعير بحديدة ليفتصّ أثره. وأثر خفّ البعير يأنثره أثراً وأثره: حرّه. والأثر: سمة في باطن خف البعير يُفتقر بها أثره، والجمع أثور. والمنثرة والتؤرور، على تفعول بالضم: حديدة يُؤثر بها خف البعير ليعرف أثره في الأرض؛ وقيل: الأثرة والتؤثور والتأثور، كلها: علامات تجعلها الأعراب في باطن خف البعير؛ يقال منه: أثرت البعير، فهو مأثور، ورأيت أثرتَه وتؤثوره أي موضع أثره من الأرض. والآثيرة من الدواب: العظيمة الأثر في الأرض بخفيها أو حافرها.

(١) كتاب العين : للخليل بن احمد الفراهيدي : ت (١٧٠) هـ : ١ / ٥٦ - ٥٧.

وفي الحديث: من سرّه أن يبسط الله في رزقه ويؤسأ في أثره فليصل رحمه؛ الأثر: الأجل، وسمي به لأنه يتبع العمر؛ قال زهير: والمرء ما عاش ممدوداً له أمل، لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر وأصله من أثر مشيه في الأرض، فإن من مات لا يبقى له أثر ولا يرى لأقدامه في الأرض أثر؛ ومنه قوله للذي مر بين يديه وهو يصلي: طع صلاتنا قطع الله أثره؛ دعا عليه بالزمانة لأنه إذا زمن انقطع مشيه فانقطع أثره. وأما مبيزة السرج فغير مهموزة. والأثر: الخبر، والجمع آثار. وقوله عز وجل: ونكتب ما قدموا وآثارهم؛ ي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم ونكتب آثارهم أي من سن سنة حسنة كتب له ثوابها، ومن سن سنة سيئة كتب عليه عقابها، وسن النبي، صلى الله عليه وسلم، آثاره. والأثر: مصدر قولك أثرت الحديث أثره إذا ذكرته عن غيرك.

ابن سيده: وأثر الحديث عن القوم يأنثه ويأثره أثراً وأثارة وأثرة؛ الأخيرة عن اللحياني: أنبأهم بما سبوا فيه من الأثر؛ وقيل: حدث به عنهم في آثارهم؛ قال: والصحيح عندي أن الأثرة الاسم وهي المأثرة والمأثرة. وفي حديث عليّ في دعائه على الخوارج: ولا بقى منكم أثر أي مخبر يروي الحديث؛ وروي هذا الحديث أيضاً بالباء الموحدة^(٢)

وفي قول أبي سفيان في حديث قيصر: ((لولا أن يأنثوا عني الكذب أي يزؤون ويحكون. وفي حديث عمر، رضي الله عنه: أنه حلف بأبيه فنهاه النبي، صلى الله عليه وسلم، عن ذلك، قال عمر: فما حلفت به ذاكراً ولا آثراً؛ قال أبو عبيد: أما قوله ذاكراً فليس من الذكر بعد النسيان إنما أراد متكلماً به كقولك ذكرت لفلان حديث كذا وكذا، وقوله ولا آثراً يريد مخبراً عن غيري أنه حلف به؛ يقول: لا أقول إن فلاناً قال وأبي لا أفعل كذا وكذا أي ما حلفت به مبتدئاً من نفسي،

(٢) لسان العرب: لجمال الدين بن أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري الافريقي المصري ت (٧١١) هـ: ٦/٥ -

ولا رويت عن أحد أنه حلف به؛ ومن هذا قيل: حديث مأثور أي يُخبر الناس به بعضهم بعضاً أي ينقله خلف عن سلف؛ يقال منه: أثرت الحديث، فهو مأثور وأنا آثر.

ويقال: إن المأثرة مفعلة من هذا يعني المكرمة، وإنما أخذت من هذا لأنها يَأْثُرُها قَرْنٌ عن قرن أي يتحدثون بها. وفي حديث عليّ (عليه السلام) : ولَسْتُ بِمَأْثُورٍ فِي دِينِي أَي لَسْتُ مِمَّنْ يُؤَثَّرُ عَنِي شَرٌّ وَتَهْمَةٌ فِي دِينِي، فيكون قد وضع المأثور موضع المأثور عنه؛ وأثرته : العلم وأثرته وأثارته : بقية منه تؤثر ، أي تروي وتذكره ، من علم وأثرته من علم وأثارته، والأخيرة أعلى؛ وقال الزجاج: أثارته في معنى علامة ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم، ويجوز أن يكون على ما يُؤَثَّرُ من العلم.

ويقال: أو شيء مأثور من كتب الأولين، فمن قرأ: أثارته، فهو المصدر مثل السماحة، ومن قرأ: أثرته فإنه بناه على الأثر كما قيل قترته، ومن قرأ: أثرته فكأنه أراد مثل الخطفة والرجفة. وسمنت الإبل والناقة على أثارته أي على عتيق شحم كان قبل ذلك؛ والأثرة والمأثرة والمأثرة، بفتح الثاء وضمها: المكرمة لأنها تؤثر أي تذكر ويأثرها قرن عن قرن يتحدثون بها، وفي المحكم: المكرمة المتوارثة...

والأثرُ والإثرُ والأثرُ، على فُعْلٍ، وهو واحد ليس بجمع: فَرِنْدُ السَّيْفِ وَرَوْنَقُهُ، والجمع أثور ، وأنشدني عيسى بن عمر لخفاف بن ندبة وندبة أمه:

جَلَاهَا الصَّيْقُلُونَ فَأَخْصَوْهَا خِفَاقًا، كُلُّهَا يَنْقِي بَأَثْرُ

أي كلها يستقبلك بفرنده، وَيَنْقِي مَخْفَفٌ مِّنْ يَنْقِي، أي إذا نظر الناظر إليها اتصل شعاعها بعينه فلم يتمكن من النظر إليها، ويقال تَقَيُّهُ وَتَقَيُّهُ وَتَقَيُّهُ أَنْقِيَهُ ، والأثرة: الجذب والحال غير المرضية؛ ومنه قول النبي، صلى الله عليه وسلم: إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض. وَأَثَرَ الْفَحْلُ النَّاقَةَ يَأْثُرُهَا أَثْرًا: أَكْثَرَ ضِرَابِهَا))^(٣)

(٣) لسان العرب : ٥ / ٨ - ٩ .

ثانياً : الاصطلاح :-

قال ابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ، ت(٥٠٢) هـ صاحب كتاب المفردات في غريب القرآن ، بأن الايثار والاثرة تعني في الاصطلاح : ((اثر: اثرُ الشيء حصول ما يدل على وجوده ، يقال اثرَ وأثرَ ، والجمع الآثُرُ ، قال تعالى : (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ)٤ ، ومن هذا يقال للطريق المستدل به آثار ، ومنه سمتت الابل أي على اثاره اثر من شحمٍ ، واثرت البعير حصلت على خفه اثره ، أي علامة تؤثر في الارض يستدل بها على اثره ، وتسمى الحديدية التي يعمل بها ذلك المئثرة.

وأثر السيف اثرُ جودته وهو الفرند ، وسيف مأثور ، واثرت العلم رويته ، آثره اثراً واثارةً واثرةً ، واصله تتبعت اثره ، واثارةً من علمٍ ، وقرئ أثره وهو ما يروي من مكارم الانسان ، ويستعار

الآثر للفضل والايثار للتفضل ومنه اثرته ،وفي الحديث: ((سيكون بعدي اثره)) ، أي يستأثر
يعضكم على بعض))^(٥)

واتبعه بعد ذلك أ . د محمد رواس قلعجي في تناول الايثار والاثرة في الاصطلاح في كتابه
معجم لغة الفقهاء ، وقال بأن ((الاثر : من اثر ، اثار ، ما بقي من رسم الشيء ومنه علم
الآثار // العلامة // الحديث // السنة // الاجل // - (وجاء على اثره أي بعد // على
الآثر) أي في الحال.

ويطلق عليه بعض الفقهاء ، الاحكام ، فيقولون : احكام النكاح مثلاً ، يريدون : اثاره.
الآثر الرجعي : رجوع الاثر المترتب على تحقق الشرط الى الماضي)^(٦)

الفصل الثاني

الموارد القرآنية لمفهوم

اولاً : الآيات

^(٥) المفردات في غريب القرآن: لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، الطبعة الثانية، ص ١٩.

^(٦) معجم لغة الفقهاء ، أ . د محمد رواس قلعجي - د . حامد صادق قنبيي ، الطبعة الاولى ، ص ٤٣

ثانياً : السياق القرآني

اولاً :- الآيات

وردت لفظة الايثار والاثرة في القرآن الكريم في ست آيات موزعة على ست سور .

١- يُؤْتَرُ : ((فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْتَرُ))^(٧)

٢- أَثَرَ : ((وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا))^(٨)

٣- أَثَرَ : ((فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا))^(٩)

^(٧) المندر / ٢٤

^(٨) النازعات / ٣٨

٤- تُؤْتِرُونَ : ((بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا))^(١٠)

٥- آثَارًا: ((كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمْ))^(١١)

٦- آثَارِهِمْ : ((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا))^(١٢)

ثانياً : السياق القرآني

ثانياً : بعد ان تعرفنا على مفهوم الايثار والاثرة في اللغة والاصطلاح لا بد ان نتعرف في هذا الفصل على آيات القرآن التي تحوي على لفظة الايثار ومعرفة دلالتها السياقية في القرآن الكريم .

فقد وردت عدة دلالات منها دلالة لفظة (يؤثر) التي وردت في سورة المدثر/ ٢٤

- قوله تعالى : ((ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ {٢٣} فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ))^(١٣)

(٩) طه / ٩٦

(١٠) الاعلى / ١٦

(١١) غافر / ٢١

(١٢) الكهف / ٦

(١٣) المدثر / ٢٤

وبين الزمخشري ت (٥٣٨) في تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : ونظر عطف على (فكر وقدر) والدعاء : اعتراض بينهما ، فان قلت : ما معنى (ثم) الداخلة في تكرير الدعاء ؟ قلت ؛ الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ، فان قلت ما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها ؟ قلت ؛ الدلالة على انه قد تأتي في التأمل وتمهل ، وكأن بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد ، فان قلت : (فلم قيل (فقال ان هذا) بالفاء بعد عطف ما قبله بثم ؟ لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث ، لان الاخرى جرت من الاولى مجرى المؤكد من التوكيد)^(١٤)

وقال الشيخ الطبرسي ت (٥٤٨) في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن : (ان الله تعالى بين المدبر والمستكبر والمتفكر في الشيء ((ثم أدبر)) عن الايمان ((واتكبر)) أي تكبر حين دعا اليه فقال (ان هذا) أي ما هذا القرآن (الا سحر يؤثر) أي يروي عن السحرة وقيل هو من الايثار أي سحر تؤثر النفوس وتختاره لحلاوته فيها ((ان هذا الا قول البشر)) أي ما هذا الا كلام الانس وليس من عند الله لو كان القرآن سحراً او من كلام البشر كما قاله الملعون لأمكن السحرة ان يأتوا بمثله ولقدر هو وغيره مع فصاحتهم على الاتيان بسورة مثله)^(١٥).

وبين الامام الفخر الرازي ت (٦٠٦هـ) في كتابه التفسير الكبير : ((ادبر عن سائر الناس الى اهله واستكبر أي تعظم عن الايمان فقال : (ان هذا الا سحر يؤثر) وانما ذكره بفاء التعقيب ليعلم انه لما ولى واستكبر ذكر هذه الشبهة ،وفي قوله : (يؤثر) وجهان الاول : انه من قولهم اثرت الحديث اثره أثراً اذا حدثت به عن قوم في آثارهم ، أي بعد ما ماتوا هذا هو الاصل

(١٤) الكتاب عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : الشيخ الزمخشري : ٦٣٤/٤

(١٥) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي : ٤٩٢/١٠

، ثم صار بمعنى / الرواية عن كان والثاني : يؤثر على جميع السحر ، وعلى هذا يكون هو من الايثار ((^(١٦))

وقال العلامة الطباطبائي ت (١٤٠٢ هـ) في كتابه الميزان في تفسير القرآن : ((وقوله : (ثم ادبر واستكبر) الادبار عن شيء الاعراض عنه ، والاستكبار الامتناع كبراً وعتواً ، والامر ان اعني الادبار والاستكبار من الاحوال الروحية ، وانما رتب في التمثيل على النظر والعبوس والبسور وهي احوال صورية محسوسة لظهورها بقوله : (ان هذا الا سحر) الخ ، ولذا عطف قوله : (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) بالفاء دون (ثم) وقوله : (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) أي اظهر ادباره واستكباره بقوله مفرعاً عليه (ان هذا) - أي القرآن - (الا سحر يؤثر) أي يروي ويتعلم من السحرة))^(١٧)

- قال تعالى : ((وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))^(١٨) ، فهذه الآية فيها دلالة على الاثرة فقد جاءت لفظة (آثر) في القرآن الكريم في سورة النازعات/٣٨.

وبين الزمخشري ت (٥٣٨ هـ) ، في تفسيره الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : ان الله تعالى في سورة النازعات عن احوال يوم القيامة.

((فأما) جواب (فأذا) أي : فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك ، والمعنى : فأنا الجحيم مأواه ، كما تقول للرجل : غض الطرف ، تريد : طرفك وليس الالف واللام بدلاً من الاضافة ، ولكن لما علم ان الطاعي هو صاحب المأوى ، وانه لا يغض الرجل طرف غيره : تركت الاضافة ؛

^(١٦) التفسير الكبير : للامام الفخر الرازي : ٧٠٧/١٤

^(١٧) الميزان في تفسير القرآن : للعلامة الطباطبائي : ٧٧/٢٠

^(١٨) النازعات / ٣٨

ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف ، لانهما معرفان ، و(وهي) فعل او مبتدأ ((^(١٩).

وقال الشيخ الطبرسي ت (٥٤٨) هـ ، في تفسيره مجمع البيان في تفسير القرآن : ففي سورة النازعات يتحدث الله عز وجل عن يوم القيامة وهي الطامة الكبرى ((يوم يتذكر الانسان ما سعى) أي تجيء الطامة (القيامة) في يوم يتذكر الانسان ما عمله من خير او شر (وبرزت الجحيم) أي اظهرت النار (لمن يرى) فيراها الخلق مكشوفاً عنها بالغطاء ويبصرونها مشاهدة (فأما من طغى) أي تجاوز الحد الذي حده الله وارتكب المعاصي (وآثر الحياة الدنيا) على الاخرة (فإن الجحيم هي المأوى) له والايثار ارادة الشيء على طريقة التفضيل على غيره))^(٢٠).

وبين الفخر الرازي ت (٦٠٦) هـ ، في كتابه التفسير الكبير : ((منهم من قال : المراد بقوله : (فأما من طغى * واثر الحياة الدنيا) النظر وأبوه الحارث فأن كان المراد ان هذه الآية نزلت عند صدور بعض المنكرات منه فحيد وان كان المراد تخصيصها به ، فبعيد لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، لاسيما اذا عرف بضرورة العقل ان الموجب لذلك الحكم هو الوصف المذكور ، وقوله طغى ، اشارة الى فساد حال القوة النظرية ، لان كل من عرف حقارة نفسه ، وعرف استيلاء قدرة الله عليه ، فلا يكون له طغيان وتكبر ، وقوله : (واثر الحياة الدنيا) اشارة الى فساد حال القوة العملية ، وانما ذكر ذلك لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : (حب الدنيا رأس كل خطيئة) ومتى كان الانسان والعياذ بالله موصوفاً بهذين الامرين ، كان

^(١٩) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : الزمخشري : ٦٨٤/٤

^(٢٠) البيان في تفسير القرآن : الطبرسي : ٥٥٤/١٠

بالغاً في الفساد الى اقصى الغايات ، وهو الكافر الذي يكون عقابه مخلداً ، وتخصيصه بهذه الحالة على ان الفاسق الذي لا يكون كذلك ، لا تكون الجحيم مأوى له ((^(٢١)).

وبين العلامة الطباطبائي ت (١٤٠٢) هـ في كتابه الميزان في تفسير القرآن : (قسم الله تعالى الناس في الآيات الى اهل الجحيم واهل الجنة - وقدّم صفة اهل الجحيم لانه وجه الكلام الى المشركين - وعرف اهل الجحيم بما وصفهم به في قوله : ((من طغى * وآثر الحياة الدنيا)) وقابل تعريفهم بتعريف اهل الجنة بقوله : ((من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)) وسبيل ما وصف به الطائفتين على أي حال سبيل بيان الضابط ، واذ كانت الطائفتان متقابلتين بحسب حالهما كان ما بين لكل منهما من الوصف مقابلاً لوصف الآخر فوصف اهل الجنة بالخوف من مقام ربهم - والخوف تأثر الضعيف المقهور من القوي القاهر وخشوعه وخضوعه له - يقتضي كون طغيان اهل الجحيم - والطغيان التعدي عن الحد - هو عدم تأثرهم من مقام ربهم بالاستكبار وخروجهم عن زي العبودية فلا يخشعون ولا يخضعون ولا يجبرون على ما اراده منهم ولا يختارون ما اختاره لهم من السعادة الخالدة بل ما تهواه انفسهم من زينة الحياة الدنيا ، فمن لوزم طغيانهم اختيارهم الحياة الدنيا وهو الذي وضعهم به بعد وضعهم بالطغيان اذ قال : (وآثر الحياة الدنيا) واذ كان من لوازم الطغيان رفض الآخرة وايتثار الحياة الدنيا وهو اتباع النفس فيما تريده وطاعتها فيما تهواه ومخالفته تعالى فيما يريده كان لما يقابل الطغيان من الوصف وهو الخوف ما يقابل الايتثار واتباع هوى النفس وهو قديمه الردع عن الاخلاص الى الارض ونهى النفس عن اتباع الهوى وهو قوله في وصف اهل الجنة بعد وصفهم بالخوف : ((ونهى النفس عن الهوى))(^(٢٢).

(٢١) التفسير الكبير : للعلامة الفخر الرازي : ٤٩/١١

(٢٢) الميزان في تفسير القرآن : العلامة الطباطبائي : ١٧٠-١٦٩/٢٠

قال تعالى : ((فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا))^(٢٣)

قال الزمخشري ت (٥٣٨) هـ ، في كتابه الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : (الخطب : مصدر خطب الامر اذا طلبه ، فاذا قيل لمن يفعل شيئاً : ما خطبك ؟ فمعناه: ما طلبك له ؟ قرئ (بصرت بما لم يبصروا به) بالكسر ، والمعنى : علمت ما لم تعلموه ، وفطنت ما لم تفتنوا له ، قرأ الحسن (قبضة) بضم القاف وهي اسم المقبوض ، كالغرفة والمصنفة ، واما القبضة فالمرة من القبض ، واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر ، كضرب الامير ، وقرأ ايضاً : فقبضت قبضة ، بالصاد المهملة .

الضاد : بجميع الكف والصاد : بأطراف الاصابع ونحوهما : الخضم ، والقضم : الخاء بجميع الفم ، والقاف بمقدمة : قرأ ابن مسعود : من اثر فرس الرسول ، فان قلت : لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس ؟ قلت : حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به ، فأبصره السامري فقال : ان لهذا شأنًا ، فقبض قبضة من تربة موطنه ، فلما سأله موسى عن قصته قال : قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ، ولعله لم يعرف انه جبريل)^(٢٤)

وقد بين الطبرسي ت (٥٤٨) هـ ، في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن : جاء في تفسيره انه بين الآيات التي تحدثت عن موسى (عليه السلام) حيث اراد ان يفارقهم فلو فارقهم لأصبحوا فريقين فريق معه وفريق مع السامري الذي كان فريقه يعبدون العجل) (ولم ترقب قولي) معناه هنا تحدث عن موسى حين قال لم تحفظ وصيتي ولم تعمل به حين قلت اخلفني في قومي واصلح ، ولما ظهرت براءة ساحة هارون اقبل على السامري (قال) له (فما خطبك يا سامري) أي ما شأنك وما دعاك الى ما صنعت فكأنه قال ما هذا الخطب والامر العظيم الذي

^(٢٣) طه / ٩٦

^(٢٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : الزمخشري : ٨٢/٣

أحدثت وما حملك عليه (قال) السامري (بصرت بما لم يبصروا به) أي رأيت ما لم يروه وقيل معناه علمت ما لم يعلموا من البصيرة (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي قبضت قبضة تراب من أثر قدم جبرائيل (فنبذتها) في العجل (وكذلك) أي وكما حدثتك يا موسى (سولت لي نفسي) أي زينت لي نفسي من اخذ القبضة والقائها في صورة العجل وقيل معناه حدثني نفسي ((٢٥).

وبين العلامة الفخر الرازي ت (٦٠٦) هـ ، في كتابه التفسير الكبير : ((قال ابو مسلم الاصفهاني : ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون فهنا وجه آخر وهو ان يكون المراد بالرسول موسى (عليه السلام) ويأثره سنته ورسمه الذي امر به فقط ، يقول الرجل : فلان يقفو اثر فلان ويقبض اثره اذا كان يمثل رسمه والتقدير ان موسى (عليه السلام) لما اقبل على السامري باللوم والمسئلة عن الامر الذي دعاه الى اضلال القوم في باب العجل ، فقال : بصرت بما لم يبصروا به ، أي عرفت ان الذي انتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من اثرك ايها الرسول أي شيئاً من سنتك ودينك فقدفت أي طرحته ، فعند ذلك اعلمه موسى (عليه السلام) بما له العذاب في الدنيا والاخرة ، وانما اورد بلفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الامير في كذا وبماذا يأمر الامير ، واما دعاؤه موسى (عليه السلام) رسولاً مع جده وكفره فعلى مثل مذهب من حكى الله عنه قوله : ((يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون))(٢٦) ، وان لم يؤمنوا بالانزال ، واعلم ان هذا القول الذي ذكره ابو مسلم ليس فيه الا مخالفة المفسرين ولكنه اقرب الى التحقيق لوجه احدهما : ان جبريل (عليه السلام) ليس بمشهور بأسم الرسول ولم يجر له فيما تقدم ذكره ، حتى تجعل لام التعريف اشارة اليه فأطلق لفظ الرسول لارادة جبريل (عليه السلام) كأنه تكليف بعلم الغيب ،

(٢٥) مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي ٣٩/٧

(٢٦) الحجر ٦/

وثانيها : انه لا بد فيه من الاضمار وهو قبضته من أثر حافر فرس الرسول والاضمار خلاف الاصل ((^(٢٧)) وقد قال العلامة الطباطبائي ت (١٤٠٢) هـ في كتابه الميزان في تفسير القرآن : (((فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا)^(٢٨) فقد فسرها الجمهور وفقاً لبعض الروايات الواردة في القصة ان السامري رأى جبريل وقد نزل على موسى للوجي او رآه وقد نزل راكباً على فرس من الجنة قدام فرعون وجنوده حين دخلوا البحر فأغرقوا فأخذ قبضة من تراب اثر قدمه او اثر حافر فرسه ومن خاصة هذا التراب انه لا يلقى على شيء الا حلت فيه الحياة ودخلت فيه الروح فحفظ التراب حتى اذا صنع العجل القى فيه من التراب فحيي وتحرك وخار - فالمراد بقوله : ((بصرت بما بصروا به)) ، العبادة جبريل حين نزل راجلاً او راكباً رآه وعرفه ولم يره غيره من بني اسرائيل ، ويقوله : ((فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبدتها))^(٢٩) فقبضت قبضة من تراب اثر جبريل او من تراب فرس جبريل - والمراد بالرسول جبريل - فنبدتها أي القيت القبضة على الحلي المذاب فحيي العجل فكان له حوار ! ونقل عن ابي مسلم في تفسيره الآية انه قال ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره وهنا وجه اخر وهو ان يكون المراد بالرسول موسى (عليه السلام) وأثر سنته الذي امر به ودرج عليه فقد يقول الرجل فلان يقفو اثر فلان ويقنص اثره اذا كان يمثل رسمة))^(٣٠).

- قال تعالى ((بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا))^(٣١)

هذه الآية من الآيات التي وردت مفردة تؤثرون فيها ودلت على معنى الايثار والاثرة فقد تناولها عدة مفسرون منهم الزمخشري ت (٥٣٨) هـ ، صاحب كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل

^(٢٧) التفسير الكبير : للعلامة الفخر الرازي : ٩٥/٨ - ٩٦

^(٢٨) طه / ٩٦

^(٢٩) طه / ٩٦

^(٣٠) الميزان في تفسير القرآن : للعلامة الطباطبائي : ١٤ / ١٥٩

^(٣١) الاعلى / ١٦

وعيون الاقاول : ((أي قوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى {١٤} وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى {١٥} بَلْ تُوَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أي اعطى زكاة الفطر ، فتوجه الى المصلى ، فصلى صلاة العيد ، وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح ، وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح ، وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها ، وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل ، وعن ابن عباس (رضي الله عنه) : ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له ، وعن الضحاك : وذكر اسم ربه عن طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما تفعلون به ، وقرئ : يؤثرون على الغيبة ، ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود : بل انتم تؤثرون (خير وابقى) افضل في نفسها وانعم وادوم))^(٣٢).

قال الشيخ الطبرسي ت (٥٤٨) هـ ، في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن : ((عن ابن عباس : قال يحتمل ان تكون قد نزلت هذه السورة او انها بمكة وختمت بالمدينة) وذكر اسم ربه فصلى) أي وحد الله ، وقيل : ذكر الله بقلبه عند صلاته ، فرجا ثوابه وخاف عقابه ، فان الخشوع في الصلاة بحسب الخوف والرجاء ، وقيل : ذكر اسم ربه بلسانه عند دخوله في الصلاة ، فصلى بذلك الاسم ، أي قال : الله اكبر ، لان الصلاة لا تتعقد الا به ، وقيل : هو ان يفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم ، ويصلي الصلوات الخمس المكتوبة ، ثم قال سبحانه مخاطباً الكفار : (بل تؤثرون) أي تختارون (الحياة الدنيا) على الآخرة ، فتعملون لها وتعمرونها ، ولا تتفكرون في امر الآخرة ، وقيل : هو عام في المؤمن والكافر ، بناء على الاغلب في امر الناس ، قال عبد الله بن مسعود : ان الدنيا اخضرت لنا ، وعجل لنا طعامها وشرابها ، ونساؤها ، ولدتها وبهجتها ، وان الآخرة نعتت لنا وزويت عنا ، فأخذنا بالعاجل ، وتركنا الآجل))^(٣٣) ، بين الامام الفخر الرازي ت (٦٠٦) هـ ، في كتابه التفسير الكبير : ((بل تؤثرون

^(٣٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الاقاول : للزمخشري : ٤/٧٢٨

^(٣٣) مجمع البيان في تفسير القرآن : للطبرسي : ١٠/٦٠٧

الحياة الدنيا) (٣٤) ، وفيه قراءتان : قراءة العامة بالتاء ويؤكد حرف ابي ، أي بل انتم تؤثرون عمل الدنيا على عمل الآخرة ، قال ابن مسعود : ان الدنيا احضرت ، وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها وان الارخة لغيب لنا وزويت عنا فأخذنا بالعاجل وتركنا الاجل ، وقرأ ابو عمرو : يؤثرون بالياء يعني الاشقى ((٣٥).

وقال العلامة الطباطبائي ت (١٤٠٢) هـ ، في كتابه الميزان في تفسير القرآن : وقوله (وذكر اسم ربه فصلى) الظاهر ان المراد بالذكر ، الذكر اللفظي ، وبالصلاة التوجه الخاص المشروع في الاسلام ، والآيتان بحسب ظاهر مدلولها على العموم ولكن ورد في المأثور عن ائمة اهل البيت (عليهم السلام) انهما نزلنا في زكاة الفطر وصلاة العيد وكذا من طرق اهل السنة ، قوله تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا) اضراب بالخطاب لعامة الناس على ما يدعوا اليه طبعهم البشري من التعلق التام بالدنيا والاشتغال بتعميرها ، والايثار الاختيار ، وقيل : الخطاب للكفار ، والكلام على أي حال مسوق للعتاب والالتفات لتأكيده (٣٦)

- قال تعالى : ((أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ{٢١}))(٣٧)

فقال الزمخشري (٥٣٨) هـ ، في تفسيره الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : (هم) في (كانوا هم اشد منهم فصل) فان قلت : من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين ، فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة ؟ وهو اشد منهم ، قلت : قد ضارع المعرفة في انه لا تدخله الالف واللام ، فأجرى مجراها ، وقرئ : منك ، وهي في مصاحف اهل الشام وأثارا يريد

(٣٤) الاعلى / ١٦

(٣٥) التفسير الكبير : للامام الفخر الرازي : ١٣٦/١١

(٣٦) الميزان في تفسير القرآن : للعلامة الطباطبائي : ٢٤٣/٢٠

(٣٧) غافر / ٢١

حصونهم وقصورهم وعددهم ، وما يوصف بالشدة من آثارهم ، او ارادوا : اكثر اثاراً ، كقوله :
منقلد سيفاً ورمحاً (٣٨).

وقال الطبرسي ت (٥٤٨) ه ، في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن :- (قال في تفسير
هذه الآية ، نبههم سبحانه على النظر بقوله ((أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ)) (٣٩) من المكذبين من الامم لرسلمهم (كانوا هم اشد منهم قوة) في
انفسهم (وآثاراً في الارض) أي واكثر عمارة للابنية العجيبة وقيل وابعد ذهاباً في الارض
لطلب الدنيا ((فأخهم الله بذنوبهم)) أي اهلكهم الله بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من
واق) أي دافع يدفع عنهم عذابه ويمنع من نزوله بهم (٤٠).

وبين العلامة الفخر الرازي ت (٦٠٦) ه ، في كتابه التفسير الكبير : (ان الله تعالى راعى
ترتيباً في اخر هذه السورة ، وذلك انه ذكر فضلاً في الدلائل الالهية وكمال القدرة والرحمة
والحكمة ، ثم اردفه بفصل التهديد والوعيد وهذا الفصل الذي وقع عليه ختم هذه السورة هو
الفصل المشتمل على الوعيد ، والمقصود ان هؤلاء الكفار الذين يجادلون في آيات الله وحصل
الكبر العظيم في صدورهم بهذا ، والسبب في ذلك كله طلب الرياسة والتقدم على الغير في
المال والجاه ، فمن ترك الانقياد للحق لاجل طلب هذه الاشياء فقد باع الآخرة بالدنيا ، فبين
تعالى ان هذه الطريقة فاسدة ، لان الدنيا فانية ذاهبة ، واحتج عليه بقوله تعالى : (افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قتلهم) يعني لو ساروا في اطراف الارض لعرفوا
ان عاقبة المتكبرين المتمردين ، ليست الا الهلاك والبوار ، مع انهم كانوا اكثر عدداً ومالاً
وجاهاً من هؤلاء المتأخرين ، فلما لم يستفيدوا من تلك المكنة العظيمة والدولة القاهرة الا الخيبة

(٣٨) كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : للزمخشري : ١٥٥/٤-١٥٦

(٣٩) غافر/٢١

(٤٠) مجمع البيان في تفسير القرآن : للطبرسي : ٦٦٨/٧

والخسار ، والحسرة والبوار ، فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين ، اما بيان انهم كانوا اكثر من هؤلاء عدداً فأنما يعرف في الاخبار ، واما انهم كانوا اشد قوة وآثاراً في الارض ، فلأنه قد بقيت اثارهم بحصون عظيمة بعدهم ، مثل الاهرام في مصر ، ومثل هذه البلاد العظيمة التي بناها الملوك ، ومثل ما حكى عنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً^(٤١).

وذكر العلامة الطباطبائي (١٤٠٢هـ) ، في كتابه الميزان في تفسير القرآن : (ان في الآيات موعظتهم بالارجاع الى آثار الامم الماضية وقصصهم للنظر والاعتبار فلينظروا فيها وليعتبروا بها وليعلموا ان الله سبحانه لا تعجزه قوة الاقوياء واستكبار المستكبرين ومكر الماكرين وتذكر منها من باب الانموذج طرفاً من قصص موسى وفرعون وفيها قصة مؤمن ال فرعون ، قوله تعالى ((أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ))^(٤٢) ، الاستفهام انكاري ، والواقي اسم فاعل من الوقاية ، بمعنى حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره ، والمعنى : أولم يسيروا هؤلاء الذين ارسلناك اليهم (في الارض فلينظروا) نظر تفكر واعتبار (كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) من الامم الدارجة المكذبين لرسولهم (كانوا هم اشد منهم قوة) أي قدرة وتمكن وسلطة (وآثاراً) كالمدائن الحصينة والقلاع المنيعة والقصور العالية المشيدة (في الارض فأخذهم الله بذنبيهم) واهلكهم بأعمالهم (وما كان لهم من الله من واق) يقيهم وحافظ عليهم))^(٤٣)

(٤١) التفسير الكبير : للفخر الرازي : ٩

(٤٢) غافر/ ٢١

(٤٣) الميزان في تفسير القرآن : للعلامة الطباطبائي : ١٨ / ١٤١

- قال تعالى : ((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا))^(٤٤) فقد تناول هذه الآية وتفسيرها عدة مفسرين منهم الزمخشري ت (٥٣٨) هـ ، في كتابه الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : (شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تدخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وتلهفاً على قوافيهم ، وقرئ : باخع نفسك ، على الاصل ، وعلى الاضافة : أي قائلها ومهلكها ، وهو للاستقبال فيمن قرأ : ان لم يؤمنوا ، وللمعنى فيمن قرأ : ان لم يؤمنوا ، بمعنى : لأن لم يؤمنوا (بهذا الحديث) بالقرآن (اسفاً) مفعول له ، أي : لفرط الحزن ، ويجوز ان يكون حالاً ، والاسف : المبالغة في الحزن والغضب ، يقال رجل اسف وأسيف)^(٤٥).

- وقال الطبرسي ت (٥٤٨) هـ ، في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن : (((فلعلك) يا محمد (باخع نفسك على اثارهم) أي مهلك وقاتل نفسك على آثار قومك الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً تمرداً منهم على ربهم (ان لم يؤمنوا) أي ان لم يصدقوا (بهذا الحديث) أي بهذا القرآن الذي انزل عليك (اسفاً) أي حزناً وتلهفاً ووجداً بادبارهم عنك واعراضهم عن قبول ما آتيتهم به وقيل على آثارهم أي بعد موتهم لشدة شفقتك عليهم وقيل معناه من بعد توليهم واعراضهم عنك وقيل اسفاً أي غيضاً وغضباً عن ابن عباس وقتادة وهذه معاتبة من الله سبحانه لرسوله على شدة وجده وكثرة حرصه على ايمان قومه حتى بلغ ذلك به مبلغاً يقربه الى الهلاك)^(٤٦).

^(٤٤) الكهف / ٦

^(٤٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : للزمخشري : ٦٧٧/٢

^(٤٦) مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي : ٥٨١/٦

قال الشيخ الرازي ت (٦٠٦) هـ ، في كتابه التفسير الكبير : المقصود منه ان يقال للرسول : لا يعظم حزنك واسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذراً ومبشراً فأما تحصيل الايمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه ، والغرض تسلية الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) عنه ، قال الليث : بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظاً من شدة وجده بالشيء ، وقال الاخفش والفراء اصل البخع الجهد ، يقال : بخعت لك نفسي أي جهدتها ، وفي الحديث عن عائشة انها ذكرت عمر فقالت : بخع أي جهدها حتى اخذ ما فيها من اموال الملوك ، وقال الكسائي : بخعت الارض بالزراعة اذا جعلتها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة وبخع الرجل نفسه اذا نهكها وعلى هذا المعنى : (باخع نفسك) أي ناهكها وجاهدها حتى تهلكها ولكن اهل التأويل كلهم قالوا : قاتل نفسك ومهلكها والاصل ما ذكر ، هكذا قال الواحدي ، وقوله : (على آثارهم) أي من بعدهم يقال مات فلان على اثر فلان أي بعده واصل هذا ان الانسان اذا مات بقيت علاماته وآثاره بعد موته مرة ثم انها تتمحي وتبطله بالكلية ، فاذا كان موته قريباً من موت الاول كان موته حاصلاً حال بقاء آثار الاول فصح ان يقال مات فلان على فلان ، وقوله ((ان لم يؤمنوا بهذا الحديث)) المراد بالحديث القرآن ، قال القاضي : وهذا يقتضي وصف القرآن بأنه حديث وذلك يدل على فساد قول من يقول : انه قديم وجوابه انه محمول على الالفاظ وهي حادثة ، قوله : (اسفاً) الاسف المبالغة في الحزن وذكرنا الكلام فيه عند قوله : ((غضبان اسفاً)) في سورة الاعراف / ١٥٠ وعند قوله : (يا اسفى على يوسف) يوسف / ٨٤ وفي انتصابه وجوه ، الاول : انه نصب على المصدر ودل ما قبله من الكلام على انه يأسف الثاني : يجوز ان يكون مفعولاً له أي لئلاسف كقولك جئتكم ابتغاء الخير ، والثالث : قال الزجاج : (اسفاً) منصوب لانه مصدر في موضع الحال ، والفاء في قوله : (فلعلك) جواب الشرط وهو قوله : (ان لم يؤمنوا) قدم عليه ومعناه التأخير ((^{٤٧})).

(^{٤٧}) التفسير الكبير : للرازي : ٤٢٦/٩

وبين العلامة الطباطبائي ت (١٤٠٢) هـ ، في تفسيره الميزان في تفسير القرآن : قوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) ^(٤٨) البخوع والبخع القتل والاهلاك والآثار علائم اقدم المارة على الارض ، والاسف شدة الحزن والمراد بهذا الحديث القرآن ، والآية واللذان بعدها في مقام تعزية النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وتسليته وتطيب نفسه والفاء لتفريع الكلام على كفرهم وجحدهم بآيات الله المفهوم من الآيات السابقة والمعنى يرجى منك ان تهلك نفسك بعد اعراضهم عن القرآن وانصرفهم عنك من شدة الحزن ، وقد دل على اعراضهم ، وتوليهم بقوله : على آثارهم وهو من الاستعارة ^(٤٩).

الفصل الثالث

موارد المفهوم في النهج

اولاً: النصوص

ثانياً : السياق النصي

^(٤٨) الكهف / ٦

^(٤٩) تفسير الميزان في تفسير القرآن : للطباطبائي : ١٣/١٩٥

أولاً: النصوص

١- ومن خطبة له (عليه السلام) { وفيها بيان لاسباب التي تهلك الانسان }
(... فَيَا عَجَبًا وَ مَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ حَطَايَا هَذِهِ الْفِرْقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَفْتَضُونَ أَثَرَ نَبِيِّ وَلَا يَفْتَدُونَ بِعَمَلٍ وَصِيٍّ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَلَا يَعْفُونَ عَنْ عَيْبٍ
،.....))^(٥٠).

٢- ومن خطبة له (عليه السلام) {في ذم الدنيا}
(... أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا وَ أَبْقَى آثَارًا وَ أَبْعَدَ آمَالًا وَ أَعَدَّ عَدِيدًا وَ
أَكْتَفَ جُنُودًا تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ وَ آثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَ لَا ظَهْرٍ
قَاطِعٍ...))^(٥١).

^(٥٠) نهج البلاغة : الامام علي (عليه السلام) : ٨٧.

^(٥١) نفسه : الامام (عليه السلام) : ١١٠

٣- ومن كتاب له (عليه السلام) الى سهل بن حنيف الانصاري وهو عامله على المدينة (في معنى قوم من اهلها لحقوا بمعاوية) :

((...فَأَيْمًا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَ مُهْطِعُونَ إِلَيْهَا وَ قَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَ رَأَوْهُ وَ سَمِعُوهُ وَ وَعَوْهُ وَ عَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ فَبُعْدًا لَهُمْ وَ سُحْقًا إِنَّهُمْ ..))^(٥٢).

٤- ومن وصية له (عليه السلام) للحسين بن علي (عليه السلام) كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين :-

((... أَيُّ بُيِّئِي إِيَّيْ وَ إِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمْرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وَ فَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَ سِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ...))^(٥٣).

٥- وَ قَالَ لِابْنِهِ الْحَسَنِ (عليه السلام) :

((يَابُنَيَّ ، لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تَخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةَ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ وَ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَ لَيْسَ أَحَدٌ هَدَيْنَ حَقِيقًا أَنْ تُؤْتِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ...))^(٥٤).

^(٥٢) نفسه : ٧٠.

^(٥٣) نفسه : ٣١.

^(٥٤) نهج البلاغة : للامام علي (عليه السلام) : خطبة ٣١.

ثانياً : السياق النصي:-

بعد ان تعرفنا على السياق القرآني لابد لنا من ان نعرف السياق النصي للفظه الايثار والاثرة في نهج البلاغة:- قال (عليه السلام) : (ولا يقتصون اثر نبي ، ولا يقتدون بعمل وصي)^(٥٥). بين ابي حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد ابن ابي الحديد المدائني ، ت (٦٥٥هـ) ن في كتابه لشرح هذه الخطبة : ((تعجب من اختلاف حجج الفرق في الدين وخطئهم وكونهم لا يتبعون اقوال الانبياء ، ولا اقوال الاوصياء ، ثم نعى عليهم احوالهم القبيحة ، فقال: انهم لا يؤمنون بالغيب ، أي لا يصدقون بما لم يشاهدوه ، ولا يكفون عن الامور القبيحة لكنهم يعملون في الشبهات ، أي يعملون اعمالاً داخله في الشبهات متوسطة لها ،

^(٥٥) نهج البلاغة : للامام علي (عليه السلام) : ٨٧.

ويسيرون في الشهوات ، جعل الشهوات كالطريق التي يسير فيه الانسان ، ثم قال : المعروف فيهم ما عرفوه ، أي ليس المعروف عندهم ما دل الدليل على كونه معروفاً وصواباً وحقاً ، بل المعروف عندهم ما انكروه ، ثم قال : انهم لا يستشيرون بعالم ، ولا يستفتون فقهاءً فاضلاً ، بل مفزعهم في الامور المشككة الى انفسهم وآرائهم ، ولقد صدق الامام (عليه السلام) ، فإن هذه صفات من يدعي العلم والفضل في زماننا وقبله بدهر طويل....))^(٥٦).

وقد بينها كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ت (٦٧٩) هـ ، في كتابه شرح نهج البلاغة :-

((كأن السائل قال : ومم تتعجب وعلام هذا التبرم والاسف

فقال : ومالي لا اعجب من خطأ هذه الفرق ، لم شرع في تفصيل والمذام والخطايا التي كان اجتماعها فيهم سبباً لتعجبه منهم فأشار الى تركهم لما ينبغي على الكل ذكر اختلاف حججهم في دينهم ، وذلك هو الاصل الذي نشأت عنه اكثر هذه الرذائل فأما تركهم لأقتصاص اثر نبيهم فأنهم لو اقتصوا اثره لما اختلفوا اذ لا اختلاف فيما جاء به لكنهم اختلفوا فلم يقتصوا اثر نبيهم ، وان تركهم الاقتداء بعمل الوصي هو اشارة الى نفسه وهذه اقطع لاعذارهم فإن الاختلاف في الدين قد يعرض عن ضرورة وهي عدم اصابة الكل للحق مع عدم الشارع الذي يرجع اليه في التوقيف على اسرار الشريعة فأما اذا كان الموقف موجوداً بينهم كمثلته (عليه السلام) امتنع ان يقعوا في تلك الضرورة فيعتذروا بها في الاختلاف))^(٥٧).

^(٥٦) شرح نهج البلاغة : لابن ابي الحديد المدائني : ٥/٢٣٤.

^(٥٧) شرح نهج البلاغة : كمال الدين ميثم بن علي البحراني : ٢/٣١٩.

وقد جاء في كتاب في ظلال نهج البلاغة للعلامة الشيخ محمد جواد مغنية ، ت (١٤٠٠ هـ) ،
لشرح هذه الخطبة : ((...فَيَا عَجَبًا وَ مَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرْقِ عَلَى اخْتِلَافِ
حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَقْتَصُونَ أَثْرَ نَبِيِّ وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيِّ))^(٥٨) .
لماذا هذه الفرقة والتفرقة في امة واحدة ؟ وما هو السبب لتناقضها ، وتنافرها ؟ وهل كل ما
استندت اليه كل فرقة حق او صواب ؟

كلا فان الحق لا يتجزأ ، ولا ينقسم الى سلب وايجاب ... وهو يقاس بقول النبي ، وفعله ،
وتقريره ، فلماذا لا يؤخذ المسلمون جميعاً بهذا القياس كما فعل الاولياء ، والاتقياء ؟ وتجدر
الاشارة الى ان الامام اعرف الناس بالاسباب المباشرة لتعدد الفرق ، وانها ترجع الى الاختلاف
في اثبات النص عن المعصوم ، او الى فهمه ... الى غير ذلك .

ان الامام يعرف هذا ، وايضاً يعرف ان الانسان لا يعجز عن مواجهة هذه الاسباب لو عزم ،
وصدقت منه النية ، وعلى هذا الاساس قال سبحانه وتعالى : ((وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا))^(٥٩) .

ومن خطبة له (عليه السلام) : (في ذم الدنيا) : ((تعبدوا للدنيا واي تعبد وآثروها أي اثار)) ،
فقد بينها ابن هبة الله بن محمد ابن ابي الحديد المدائني ، ت (٦٥٥) هـ ، ((ثم اخذ قوله
تعالى ((وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَنَبَّيْنَكُمْ كَيْفَ فَعلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَمْثَالَ))^(٦٠) .

^(٥٨) نهج البلاغة : للامام علي (عليه السلام) : خطبة ٨٥ .

^(٥٩) في ظلال نهج البلاغة : للعلامة الشيخ محمد جواد مغنية : ٢ / ٢٣١ - ٢٣٢ .

^(٦٠) سورة ابراهيم / ٤٥ .

فقال ((أستم في مساكن من كان قبلكم أطول اعماراً)) ، ((أطول)) بأنه خبر كان ، وقد دلنا الكتاب الصادق على أطول اعماراً بقوله : ((قَلْبَتْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا))^(٦١). وثبت بالعيان انهم ابقى آثاراً ، فأن من آثارهم الاهرام ، والايوان ومنازة الاسكندرية ، وغير ذلك ، واما بعد الآمال فمترتب على طول الاعمال ، فكما كانت أطول كانت الآمال ابعداً^(٦٢). وقد وضحها كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، ت (٦٧٩) هـ ، في كتابه شرح نهج البلاغة :- ((أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِينَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا وَ أَبْقَى آثَارًا وَ أَبْعَدَ آمَالًا وَ أَعَدَّ عَدِيدًا وَ أَكْتَفَ جُنُودًا تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ وَ آثَرُوهَا أَيَّ إِثَارٍ ثُمَّ طَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَ لَا ظَهَرَ قَاطِعٍ))^(٦٣) ، أي ((ثم اعقب التحذير منها بالتنبيه الى مصارع السابقين فيها من كان أطول اعماراً واشد بأساً من تغيراتها وتكراتها لهم مع شدة محبتهم ، وتعبدهم لها ، ولما فرغ من ذمها والتعبير عنها بتحديد مذامها استفهم السامعين على سبيل التفريغ لهم عن اثارهم لها بهذا المذام واطمئنانهم اليها وحصرهم عليها))^(٦٤).

وقد وردت في كتاب العلامة الشيخ محمد جواد مغنية ، ت (١٤٠٠) هـ ، في ظلال نهج البلاغة :- ((أستم في مساكن من كان قبلكم أطول اعماراً ، وابقى آثاراً ، وابعد آمالاً واعدد عديداً ، واكتف جنوداً)).

((الدنيا بما فيها عظمات ، وعبر ، والعاقل من نظر الى احداثها بعين يقظة ، واتعظ بالاولين الذين هم اقوى منه عدة ، وعدداً ، واطول اعماراً ، وآجالاً ،) تعبدوا الدنيا أي تعبد وآثروها أي ايثار) كل انسان يميل الى الدنيا وزينتها ، ولكن عليه ان يتورع عن حرامها ، وينظر الى

(٦١) سورة العنكبوت / ١٤ .

(٦٢) شرح نهج البلاغة : لابن ابي الحديد المدائني : ١٣٧/٧-١٣٨ .

(٦٣) نهج البلاغة : للامام علي (عليه السلام) : خطبة ١١٠ .

(٦٤) شرح نهج البلاغة : كمال الدين ميثم بن علي البحراني : ٨٤/٣-٨٥ .

العواقب ، ويقارن بين لذة العاجلة ، وآلام الاجلة (ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ، ولا ظهر قاطع) ، سافروا ، ولكن بلازاد ، وآجله))^(٦٥).

ومن كتاب له (عليه السلام) : الى سهل بن حنيف الانصاري وهو عامله على المدينة (في معنى قوم من اهلها لحقوا بمعاوية)

((أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَّغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ وَ يَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ فَكْفَى لَهُمْ غِيًّا وَ لَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَ الْحَقِّ وَ اِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَ الْجَهْلِ فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَ مُهْطِعُونَ إِلَيْهَا وَ قَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَ رَأَوْهُ وَ سَمِعُوهُ وَ وَعَوْهُ وَ عَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرِ فَبُعْدًا لَهُمْ وَ سُحْقًا...))^(٦٦) ، قد شرحه عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن ابي الحديد المدائني ، ت (٦٥٥) هـ ، في كتابه شرح نهج البلاغة :-

((ان الاثرة والاستنثار يقول قد عرفوا اني لا اقسم بالسوية ، واني لا انفل قوماً على قوم ولا اعطي على الا حساب والانساب كما فعل غيري فتركوني وهربوا الى من يستأثر ويؤثر ، قال فبعداً لهم وسحقاً دعاء عليهم بالبعد والهلاك.))^(٦٧).

وقد بينها كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، ت(٦٧٩) هـ ، في كتابه شرح نهج البلاغة :- ((وقوله : فكفى الى قوله : العدل ، استدراج له عن الاسف على فرارهم بذكر معائبهم في ضمير في ضميرين صغرى الاولى منهما قوله : فكفى .. الى قوله : الجهل ، وتقدير كبراه : وكل من كان كذلك فلا يجوز الاسف عليه ، وفرار فاعل كفى ، وغياً وشافياً تميز ، وصغرى الثانية قوله : وانما هم اهل دنيا : أي لما كان شأنهم ذلك وعرفوا العدل عندنا

^(٦٥) في ظلال نهج البلاغة : للعلامة الشيخ محمد جواد مغنية : ٤٩٣/٢-٤٩٤.

^(٦٦) نهج البلاغة : للامام علي (عليه السلام) : رسالة ٧٠.

^(٦٧) شرح نهج البلاغة : لابن حديد : ٥٣/١٨-٥٤.

وعلموا تساوي الناس عندنا في الحق هربوا الى الاستثناء والاستبداد عند معاوية ، وتقدير كبراه : وكل من كان بهذا الحال فلا يجوز الاسف عليه ، ولذلك دعا عليهم بالبعد والسحق وهما مصدران وضعا للدعاء ...))^(٦٨).

وقد ذكرها العلامة الشيخ محمد جواد مغنية ، ت (١٤٠٠) هـ ، في كتابه (في ظلال نهج البلاغة) :- ((ان العقيدة وممارسة الدين لا تكون ولن تكون الا في ظل الحرية التامة ، وهي الحق لكل انسان فاذا اعتدى وساء استعمالها تحمل وحده التبعات ، والمسؤولية ، هذا هو مبدأ القرآن والرسول والامام ولذا لم يكره احد على بيعته ، ولا صد احداً ممن بايعه عن النكث ، والذهاب الى حيث يشاء تماماً كما لم يكره النبي الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) احداً على الاعتراف بنبوته ، (فكفى لهم غيياً) لقد اختاروا بأنفسهم طريق الغي ، والضلال ، وآثروه على الحق والهدى ، وسيجزى الله الذين اساءوا بما كانوا يعملون (ولك منهم شافيا) أي كفى شفاء منهم انهم من الهالكين ، وعبر الامام عن الهلاك بقوله : (فرارهم من الهدى والحق ، وايضاعهم الى العمى والجهل) ، لان الفرار من الحق الى الباطل من اقوى اسباب العذاب))^(٦٩).

من وصيته (عليه السلام) لابنه الحسن كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين ((أي نبي ، اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي ، فقد نظرت في اعمالهم ، وفكرت في احبارهم ، وسرت في آثارهم ، حتى عدت كأحدهم ...))^(٧٠).

فقد وضحه ابن هبة الله بن محمد بن محمد بن ابي حديد المدائني ، ت (٦٥٥) هـ ، في كتابه نهج البلاغة :- ((قال له :- يا بني اني كنت عازماً على ان اعلمك القرآن وتفسيره والفقاه

^(٦٨) شرح نهج البلاغة : للبحراني : ٥ / ٢١٢.

^(٦٩) في ظلال نهج البلاغة : للعلامة الشيخ محمد جواد مغنية : ٥ / ٥٨٦.

^(٧٠) شرح نهج البلاغة : للامام علي (عليه السلام) : ٣١

وهو المعرفة بأحكام القرآن والشريعة ، ولا اجاوز بك الى غيره ، ثم خفت ان تدخل عليك شبهة في اصول الدين ، فيلتبس عليك في عقيدتك الاصلية ما التبس على غيرك من الناس ، فعللت عن العزم الاول الى ان اوصيك بوصايا تتعلق بأصول الدين ، فان قلت : فلماذا كان كارهاً تنبيه ولده على ذلك ، وانتم تقولون ان معرفة الله واجبة على المكلفين ، وليس يليق بأمر المؤمنين ان يكره ما اوصيه الله تعالى ، قلت : لعله علم اما من طريق وصية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) او من طريق معرفته بما يصلح ان يكون لطفاً لولده ومعرفته ، بما يكون مفسدة له ، فكثرة التجربة له ، وطول الممارسة لاخلاقه وطباعه ان الاصلح له الا يخوض في علم الكلام الخوض الكلي ، وان يقتنع بالمبادئ والجمال ، فمصالح البشر تختلف ، لرب انسان مصلحته في امر ذلك الامر بعينه مفسدة لغيره ، ونحن وان اوجبنا المعرفة فلم توجب منها الا الامور المجهولة واما التفصيلات الدقيقة الغامضة ، فلا تجب الا عند ورود الشيعة في نفس المكلف لم يجب عليه الخوض في التفصيلات))^(٧١)

فقد وضحها كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، ت (٦٧٩) هـ ، في كتابه شرح نهج البلاغة :- ((فنبه الى فضيلته بقوله : أي بني ، الى قوله : مجهولة ، وقوله : وان لم اكن ، في قوة جواب اعتراض مقدر كأن قائلاً قال له : فكيف حصلت العلوم عن تجارب الامور مع حاجة التجربة الى عمر طويل يشاهد فيه الانسان تغيرات الامور وتقلبات الدهور ؟ فقال : اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي وشاهدت احوالهم لكني نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم المأثورة وسرت في آثارهم سيراً محسوساً ومعقولاً حتى صرت كأحدهم في عيان امورهم))^(٧٢).

^(٧١) شرح نهج البلاغة : لأبن حديد : ٢٣٢/١٦

^(٧٢) شرح نهج البلاغة : للبحراني : ١٦/٥

وقد وردت في كتاب العلامة الشيخ محمد جواد مغنية ، ت (١٤٠٠) هـ ، في ظلال نهج البلاغة :- ((معنى هذه الجملة اردت ان اعلمك القرآن وتفسيره وحلاله وحرامه ، ثم عدلت خشية ان يخفى عليك مكان الصواب في المذاهب والاراء لحدائثة سنك ، فأكتفيت بهذه الوصية التي تحتوي على الايمان بالله ، وآداب السلوك))^(٧٣).

ومن باب حكمه (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام) ((يا بني لا تخلفن وراءك شيئاً من الدنيا ، فانك تخلفه لاحد رجلين : اما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به ، واما رجل عمل فيه بمعصية الله ، فكنت عوناً له على معصيته ، وليس احد هذين حقيقاً ان تؤثره على نفسك ..))^(٧٤).

فقد جاء شرح هذه الحكمة في كتاب شرح نهج البلاغة لأبن هبة الله بن محمد بن محمد ابن ابي الحديد المدائني ، ت (٦٥٥) هـ ، ((انك ان خلفت مالاً ، فاما ان تخلفه لمن يعمل فيه بطاعة الله ، او لمن يعمل فيه بمعصيته ، فالاول يسعد بما شقيت به انت ، والثاني يكون معاناً منك على المعصية بما تركته له من المال ، وكلا الامرين مذموم ، وانما قال له : خارج لمن مضى رحمة الله ، ولمن بقي رزق الله) لانه قال في اول كلامه : (قد كان لهذا المال اهل قبلك ، وهو صائر الى اهل بعدك)^(٧٥).

فقد ورد في كتاب شرح نهج البلاغة لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، ت (٦٧٩) هـ ، بيان لهذه الحكمة :-

((ان الامام (عليه السلام) ادبه بالنهي عن ادخار المال ، ونفره عن ذلك بضميره صغراه قوله : فانك الى اخره .

^(٧٣) في ظلال نهج البلاغة : للعلامة محمد جواد مغنية : ٢٠٣/٥

^(٧٤) نهج البلاغة : للامام علي (ع) : حكمة ٤٠٤

^(٧٥) شرح نهج البلاغة : لأبن حديد : ٢٧٧/١٠

وقوله : بما شقيت به ، أي شقاء الدنيا بجمعه ، وشقاء الآخرة بادخار الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، وتقدير الكبرى وكل من يخلق مالاً لأحد هذين وليس أحدهما حقيقة بأن يؤثره على نفسه فلا يجوز أن يخلفه (...)^(٧٦).

^(٧٦) شرح نهج البلاغة : للبحراني : ٤٤٤/٥

الفصل الرابع

الاقتباس القرآني لنهج البلاغة

توظيف الامام علي (عليه السلام) الاقتباس القرآني في نهج البلاغة :

من خلال الشروحات السابقة لمواضع نهج البلاغة نلاحظ ان الامام علي (عليه السلام) وظف الكلام بطريقة الاقتباس بالفكرة وكذلك اقتباس باللفظة الواحدة من القرآن الكريم وتمثل في ذلك :-

من خطبة الامام علي (عليه السلام) (في بيان الاسباب التي تهلك الانسان) : (فيا عجب! ومالي لا اعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها ! لا يقتصون اثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي)^(٧٧) الاثر هنا اقتباس بلفظة واحدة من الاية الكريمة في قوله تعالى :- (من اثر الرسول)^(٧٨) ، وقد شرح كمال الدين بن ميثم البحراني لفظة (اثر نبي) في موضع النهج :- ((بأنهم تركوا اقتصاص اثر نبيهم فأنهم لو اقتصوا اثره لما اختلفوا اذ لا اختلاف فيما جاء به لكنهم اختلفوا فلم يقتصوا اثر نبيهم))^(٧٩) ، واما الاية الكريمة :- (اثر الرسول) فقد فسرها الزمخشري^(٨٠) والطبرسي^(٨١) والرازي^(٨٢) والطباطبائي^(٨٣) : ان اثر الرسول بمعنى قبض او اخذ من تراب اثر اقدام الرسول او من اثر حافر فرسه ، فقد اجتمع اقتباسين في هذا الموضع اقتباس بالفكرة لكنها جاءت بمعنى مختلف في الموضع ، وان الاقتباس بلفظة واحدة فالموضعين فيهما اختلاف بين (اثر نبي ، اثر رسول) .

^(٧٧) نهج البلاغة للامام علي (عليه السلام) خطبة : ٨٧

^(٧٨) طه / ٩٦

^(٧٩) شرح نهج البلاغة :- لابن ميثم البحراني : ٢٣٤/٥

^(٨٠) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : الزمخشري : ٨٢/٣

^(٨١) مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي : ٣٩/٧

^(٨٢) التفسير الكبير : للعلامة الفخر الرازي : ٩٥/٨ - ٩٦

^(٨٣) الميزان في تفسير القرآن : للعلامة الطباطبائي : ١٥٩/١٤

والاقتباس الثاني في خطبة الامام علي (عليه السلام) (في ذم الدنيا) :- ((الستم في مساكن من كان قبلكم اطول اعماراً ، وابقى آثاراً ..))^(٨٤)، انما اقتباس بلفظة من الآية الكريمة في قوله تعالى ((كانوا هم اشد منهم قوة وأثراً في الارض))^(٨٥) فقد شرح (الشيخ محمد جواد مغنية في ضلال نهج البلاغة)^(٨٦) بأنها تحدث الناس عن الدنيا وانهم يقيمون يعمررون في الدنيا الابنية لأنفسهم لأعتقادهم بأنهم اطول وابقى آثاراً فيها ، واما الآية الكريمة : (لكانوا هم اشد منه قوة واثراً في الارض) فهنا شرحها الزمخشري والطبرسي والرازي والطباطبائي^(٨٧):- انهم كانوا اشد قوة وأثر في الارض بأنهم قاموا ببناء القصور والابنية العظيمة لانهم كانوا يظنون بقاءهم وامتداد اثارهم في الدنيا فأدى ذلك الى بعدهم عن اعمال الآخرة ، فقد اجتمع اقتباسين في هذا الموضوع بنفس الفكرة ولان كلمة (أثراً) فسرت مختلفة في المواضع لكنها ادت نفس الفكرة ، وكذلك الاقتباس بلفظ واحد فالموضعين فيهما نفس الكلمة (أثراً) .

اما الاقتباس الثالث في خطبة الامام علي (عليه السلام) (الى سهل بن حنيف الانصاري وهو عامله على المدينة) (فهربوا الى الأثرة)^(٨٨) ، انما اقتباس بلفظة من الآية الكريمة في قوله تعالى (واثر الحياة الدنيا)^(٨٩) فقد شرح كمال الدين البحراني في كتابه شرح نهج البلاغة بأن الهروب الى الأثرة ان الناس قد تركوا الحق وهربوا الى الاستئثار والاستبداد عند معاوية أي انهم تركوا طريق الهداية والرحمة وذهبوا الى الهلاك والعذاب ، واما الآية الكريمة فقد شرحها

^(٨٤) نهج البلاغة : للامام علي (عليه السلام) : ١١٠

^(٨٥) غافر/ ٢١

^(٨٦) في ضلال نهج البلاغة : محمد جواد مغنية : ٢ / ٤٩٣-٤٩٤

^(٨٧) ينظر : كتاب الكشاف / للزمخشري / التفسير الكبير : للرازي / الميزان : للطباطبائي

^(٨٨) نهج البلاغة : للامام علي (عليه السلام) : ٧٠

^(٨٩) النازعات / ٣٨

الزمخشري والطبرسي والرازي والطباطبائي^(٩٠) بأن القوم قد الهتهم الدنيا وما فيها من هداية ورحمة وذهبوا الى طريق الاستبداد والظلم اتبعوا ما تهواه النفس في الدنيا وتركوا الآخرة ، فقد اجتمع اقتباسين في هذا الموضوع بنفس الفكرة وكذلك الاقتباس بلفظ واحد من القرآن لموضعين من نفس كلمة (أثرة) .

اما الاقتباس الاخير كان في وصية الامام علي (عليه السلام) كتبها اليد بحاضرين عند انصراف من صفين : ((واني وان لم اكن قد عمرت عمراً من كان قبلي ، فقد نظرت في اعمالهم ، وفكرت في اخبارهم ، وسرت في آثارهم ..))^(٩١) ، انما اقتباس بلفظة من الآية الكريمة في قوله تعالى ((فلعلك باخع نفسك على اثارهم ...))^(٩٢) فقد شرح هذه الوصية (كمال الدين بن ميثم البحراني)^(٩٣) .

بأنها تتحدث عن الامير في وصية بأنه قال لو عمرت عمر من كان قبلي بأن شاهد احوالهم واعمالهم وسار على اثارهم حتى صار كأحدهم في اعيان امورهم واما الآية الكريمة فقد شرحها (الزمخشري)^(٩٤) والطبرسي^(٩٥) والرازي^(٩٦) بأن الرسول قاتل ومهلك على آثارهم نفسك وانهم لم يؤمنوا حتى تظهر لهم معجزة ، وان فلان اذا مات قد ترك اثر له بعد موته وترك علامة له فهنا تفسير هذه الآية مختلف عن المفسرين وكذلك شرح هذه الخطبة المتعلقة بكلمة (اثارهم) مختلفة عن شرح الآية الكريمة لذلك فقد اجتمع اقتباس في هذا الموضوع اقتباس بالفكرة لكنها جاءت

^(٩٠) ينظر : كتاب الكشاف - الزمخشري ، كتاب التفسير الكبير (الرازي)

^(٩١) نهج البلاغة للامام علي (عليه السلام) : ٣١

^(٩٢) الكهف / ٦

^(٩٣) ينظر : في ظلال نهج البلاغة : للعلامة محمد جواد مغنية : ٢٠٣/٥

^(٩٤) ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : للزمخشري : ٦٧٧/٢

^(٩٥) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : للطبرسي : ٥٨١/٦

^(٩٦) ينظر : التفسير الكبير : للرازي : ٤٢٦/٩

بمعنى مختلف في الموضوع ، وان الاقتباس بلفظة واحدة فالموضوعين فيهما اختلاف عن بعضهما .

الخاتمة

خلاصة البحث

١- في المبحث الاول تناولت مفردة الايثار والاثرة في اللغة والاصطلاح وانتهيت الى ان الايثار والاثرة في اللغة : بقية ما ترى من كل شيء وما لا يرى بعدما يبقى علقه ، واثر السيف : ضرته ، وان الاثر بقيد الشيء والجمع آثار وأثر ، اما في الاصطلاح فأن الأثر بمعنى اثر الشيء حصول ما يدل على وجوده .

٢- في المبحث الاول وبعد ان اطلعنا على مفهوم الايثار والاثرة في اللغة والاصطلاح فقد وجدنا انه ليس هنالك اختلاف كبير بين العلماء في تعريف الايثار والاثرة سواء كان في اللغة او في الاصطلاح فجميعها ادبت نفس المعنى فقط اختلاف في اللفظ .

٣- اما في المبحث الثاني فقد قمت بتبيان وشرح الآيات التي وردت فيها مفردة الاثم فاستخرجت ست آيات مباركة موزعة على ستة سور ، ثم قمت بتفسيرها وكيف فسرها العلماء من الاقدم الى الاحدث فقد اخذت اربعة مفسرين من الشيعة ومن السنة وبعد ان انتهيت من تفسير الآيات تبين لي ان المفسرين فسروا الآيات على معان متشابهة الا بعض الاضافات القليلة من قبل المفسرين الاخرين .

٤- وبعد ان انتهيت من المواد القرآنية للمفهوم عرجت الى مبحث آخر وهو المبحث الثالث وبينت موارد المفهوم في النهج واتبعت فيه الطريقة ذاتها التي اتبعتها في المبحث الثاني من استخراج الموارد في النهج التي شرحها العلماء

٥- وفي المبحث الرابع تناولت الاقتباس القرآني في نهج البلاغة وتبين ان هنالك اقتباس من القرآن الكريم في مواضع النهج أي نهج البلاغة سواء كان متشابه او مختلف .

المصادر والمراجع

- ١-التفسير الكبير - للرازي - طبع في دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان/ط٣-١٤٢٠هـ.
- ٢-العين - للخليل بن احمد الفراهيدي - ت ١٧٠ - ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان / ط١ - ١٤٢٤ هـ .
- ٣-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل - للزمخشري - اعتنى به وخرج احاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيخا - طبع في دار المعرفة - بيروت - لبنان / ط٣- ١٤٢٤ هـ .
- ٤-الميزان في تفسير القرآن - للطباطبائي - ت ١٤٠٢ - حققه الشيخ اياد باقر سلمان - طبع في دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان / ط١-١٤٢٧هـ.
- ٥-شرح نهج البلاغة - لابن حديد - خطبه وصححه محمد عبد الكريم النمري - طبع في دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان/ط١-١٤٢٨هـ.
- ٦-شرح نهج البلاغة - كمال الدين بن ميثم البحراني - طبع في دار الثقلين - بيروت - لبنان / ط١-١٤٢٠هـ
- ٧-في ظلال نهج البلاغة - محمد جواد مغنية ت ١٤٠٠- حققه ووثق اصوله وعلق عليه - سامي الغريبي - طبع في دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان / ط٣-١٩٧٩ هـ .

٨- لسان العرب - لابن منظور - ت ٧١١ - تحقيق عامر احمد حيدر وراجعه مجيد جليل

ابراهيم - طبع في دار صادر - بيروت - لبنان / ط ١-١٤٢٤ هـ .

٩- مجمع البيان في تفسير القرآن - للطبرسي - ت ٥٤٨ - صححه وحققه وعلق عليه السيد

المنتبع هشام الرسولي المطلاتي - طبع في احياء التراث العربي - بيروت - لبنان / ط ٨-

١٤٢٦ هـ .

١٠- معجم لغة الفقهاء - لمحمد قلنجي ومحمد صادق قنبيي - طبع في دار النفائس بيروت

- لبنان / ط ١-١٤٠٥ هـ.

١١- مفردات غريب القرآن : للراغب الاصفهاني - ت ٥٠٢ هـ - تحقيق محمد باسل عيون

السود - طبع في دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان / ط ٣-١٤٢٦ هـ.